دراسات في الفكر والأديان

الاختلاف والاتفاق بين إنجيل برنابا والأناجيل الأربعة

محمد عبد الرحمن عوض

حقوق الطبع محفوظة للناشر

دار البشير للطباعة والنشر والتوزيع
القاهرة

ص.ب : ١٦٩ ـ المعادى

الاختلاف والاتفاق
بين
إنجيل برنابا
والأناجيل الأربعة

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

● اتفقت كلمة المسيحيين منذ قرون على أن الأناجيل الأربعة [متى — يوحنا — مرقس — لوقا] هى الأناجيل المقبولة عندهم ، وتظاهر علماؤهم على أن ما سوى هذه الأناجيل — ومعها بعض الرسائل — مرفـوض ومزور .. وحرموا على أتباعهم قراءة هذه الكتابات المزورة .. وطردوا من يؤمن بهـا وينبعها من الرحمة التى تضمنها الكنيسة لأتباعها ..

ولم تقدم الكنيسة لأتباعها أى ضمان لصحة هذه الكتب التى اختارتها سوى أنها اختارتها وارتضاها أهلها .. وفرضت عليهم .. بمقتضى الإيمان — أن يقبلوا ما قبلته الكنيسة وألا يناقشوا مضامينها وإلا تعرضوا للحرمان (*)

وقد نجحت الكنيسة فى أن تخلق رأيا عاما يتقبل وجهة نظرها ويعطـل عقله فى الأمور الدينية ، وقد بلغت الأمور ذروتها فى القرون الوسطى عندما أعطت الكنيسة لنفسها الحق فى متابعة أفكار الناس ، وخلقت جوا من الرعب والفزع فى أوروبا . وأشاعت روح الشك والعداوة بين أفراد الأسرة الواحدة إذ جعلت من الابن جاسوسا على أبيه ، ومن الزوجة عينا على زوجها والأخت على أخيها والأخ على إخوته .. ولقد ارتكبت حماقات كثيرة بهذا السبب حتى

(*) لم تقبل الكنيسة مناقشة أى من أفكار الكتاب المقدس الا فى حدود ما التزمت به من ادعاء ألابن لله وتعدد الآلهة والخطيئة ... فاذا أدى البحث العلمى الى غير ذلك فان البحث ضلال وتجديف [راجع المسيحية نشأتها وتطورها ترجمة د. عبد الحليم محمود] .

جاءت أصوات تنادى بالإصلاح . وقد كبرت .. وعلت هذه الأصوات حتى أفرخت مذهبا دينيا جديداً فى أوروبا .. يختلف فى كثير من الأمور عن المذاهب المعروفة ـ من أرثوذكس وكاثوليك ـ وصار لهذا المذهب الجديد اسم مستقل (هو البروتستنت) وأتباع كثيرون .. وأصبح لهم ـ ولقساوستهم ـ الحق فى أن يصدروا الأحكام ، ويهبوا الرحمة والغفران لأتباعهم ، وهم الذين سبق أن طردتهم الكنائس وحرمتهم من الغفران .. ومنعت عليهم دخول الملكوت .

ولقد سقنا هذا الحديث لنوضح أن مسألة الإيمان والحرمان فى عرف الكنيسة مسألة نسبية .. فأتباع الكنيسة الغربية يؤمنون بإله تختلف طبيعته عن الإله الذى تدين له الكنيسة الشرقية .. فالأولى تؤمن بالمسيح إلهاً ذا طبيعتين .. لاهوتية وناسوتية .. أى أنه بشر وإله فى وقت واحد ـ أما الكنيسة الشرقية فهى تؤمن بالمسيح إلها ذا طبيعة واحدة لاهوتية فقط ..

- الكاثوليك ..
- الأرثوذكس ..
- البروتستنت ..
- الإله ذو الطبيعة الواحدة ..
- الإله ذو الطبيعتين ..

هل كل ذلك مسيحية واحدة ؟ أم أكثر من مسيحية وأيها نصدق ؟

بل لقد خرج تولوستوى على العالم بإنجيل جديد مزج فيه بين الأناجيل الأربعة (1) .. وخرج على الناس بديانة جديدة ..

« أما الشيء الخطير الذى أتاه تولستوى فانقلبت من أجله روسيا ظهراً لبطن تخطئة الكنيسة المسيحية في أكثر أمورها اذ أنكر عليها عقائدها بدعوى أنها من أوضاع البشر وتخالف أحكام الانجيل مخالفة صريحة فأثرت أقواله

---

(1) انظر : انجيل تولستوى وديانته عربه عن الروسية : سليم قبعين ـ طبع المطبعة المصرية سنة ١٩٠٤

فى عقول متنورى روسيا وحلقت بها الصحف فى سماء العالم الأوروبى حتى اجتمع لذلك المجمع المقدس فى عاصمة الروس برئاسة السيد أنطونى .. رئيس المجمع المقدس ومطران بطرسبرج ... » (٢) ..

ويتحدث تولستوى بصراحة ووضوح : « أن تعاليم الكنيسة لا تنحصر فى الإنجيل فقط بل وفى موضوعات رجالها التى لا تحصى وما تحتفظ به من التقاليد .. والأنكى من كل ما تقدم أن الكنيسة تحرم على أتباعها مطالعة الإنجيل والبحث فى قوانينها وهو تماد فى المغالطة لا يغتفر لجميع الكنائس الآخذة بالتقاليد والتعاليم المتخالفة .. إن الله سبحانه وتعالى قد كشف عن الحقيقة للناس وأوجد لهم نظامات وقواعد يسيرون بموجبها ثم إننى أحد المبصرين بالكتاب الذى أعطى للخلق ليفهموه من أنفسهم دون أن يسألوا تفسير معنى من معانيه » ..

فإذا كان ما فى الكتاب هو كلام الله تعالى فإنه سبحانه يعرف مقدار قصور عقلى وقلة إدراكى فكان يلزم أن يكون كلامه سهل المأخذ حتى لا يستعصى على إدراك أوامره وتعاليمه فأذهب فى تأويلها كل مذهب وقد أقع من ذلك فى ضلال مبين .. الخ ما قال (٣) ..

وإذا تقدمنا مع تولستوى قليلا نجده يتحدث عن اختيار الكتب التى فضلتها الكنيسة على غيرها دون سبب واضح وحكمت عليها بالخطأ دون أن توضح للناس ما استندت عليه .. فيقول (٤) .

« وقد حصر بعضهم عدد ما كتب منها فبلغ ما ينيف على المائة بين انجيل ورسالة ولم تعتبرها الكنيسة كلها كتبا منزلة بل اختارت منها سبعة وعشرين كتابا واطلقت عليها اسم الكتب القانونية ولا ندرى السر فى اختيارها لهذا العدد من الكتب وتفضيلها اياه على غيره واعتباره مقدسا منزلا دون سواه مع أن الأشخاص الذين كتبوها هم فى نظرها رجال قديسون أتقياء خدموا المسيحية فى بدء ظهورها خدمات جليلة بتبشيرهم » ..

وياليت الكنيسة عند اختيارها لتلك الكتب أوضحت للناس سبب هذا

---

(٢) المرجع السابق كلمة المعرب ص ٤ ، ٥

(٣) المرجع السابق مقدمة المؤلف ص ١٥ ، ١٦

(٤) المرجع نفسه ص ١٨ .

التفصيل فبينت اذ ذاك ما وجدته من الخطأ فى الكتب التى لم تعتبرها موحى بها بل اعتبرتها كتبا تاريخية وضعت لسرد تاريخ الكنيسة ..

ان الكنيسة عملت عملا باتقان واحكام ولكنها أخطأت خطأ لا يغتفر فى اختيارها بعض الكتب ورفضها الأخرى واجتهدت عند ذلك التقسيم بأن تؤيد أن ما اختارته من الكتب هو الصحيح المنزل الموحى به من الروح القدس ، وكل حكمة واردة فيها هى من السماء ..

ويكفى هذا مما ذكره الفيلسوف الروسى لنتبين بعض الحقائق .. وآن لنا أن نقول إن هذه الحقائق هى التى دفعتنا إلى أن نعقد الموازنة بين كتاب تعتبره الكنيسة مزورا وهو « إنجيل برنابا » .. وتلك التى تعتبرها الكنيسة شهادة صحيحة لنرى أوجه الخلاف والاتفاق فلعل فى ذلك بعض الفائدة للحقيقة حتى تتفتح عيون المبصرين عليها ..

وقد نجد بعض نقاط الاتفاق بين إنجيل برنابا وغيره وهذا مهم إذ إن فى هذا تأكيداً لصحة إنجيل برنابا فيما اتفق فيه مع بقية الأناجيل التى تعتمدها الكنيسة ، وبالتالى فمن الصعب أن ترفض صحة نفس الإنجيل فى بقية النقاط .. وهذا من وجهة النظر المسيحية ففى كتاب اتفاق البشائر وعرضها عرضا موضوعيا يقول المؤلفون « ولا ريب عندنا أن القارىء فى النهاية يزداد إجلالا لقدر كتاباتهم وثقة بصدقها بسبب هذه الفروق عينها أكثر مما لو اتفقت رواياتهم اتفاقا حرفيا فى كل شيء .. ويجب ألا ننسى أن كل مسعى لتعظيم أهمية هذه الفروق لم يؤد حتى الآن إلا إلى ازدياد الإعجاب باتفاق البشائر كوثائق تاريخية فإن أقوى حجة لصدق شهادة البشيرين فى الأمور الجوهرية هى استقلال كل من الأناجيل عن غيره مع مطابقته لها فى الجوهريات كما يتضح من ترتيب متونها بإزاء بعضها البعض .

فمن الصعب أن نتصور حجة لصحة الوثائق التى تبنى عليها الكنيسة المسيحية إيمانها بشخص مؤسسها وأعماله أشد إقناعا من هذه الفروق عينها فى شهادات الذين شهدوا له » (٥) ..

---

(٥) انظر اتفاق البشائر أصدرته جمعية نشر المعارف المسيحية فرع مصر وفلسطين والمطبعة الامريكانية فى بيروت سنة ١٩٣١ ص ٤ م .

فإذا أضفنا لذلك أن برنابا كان من الحواريين الأوائل وهذا ما لم يظفر به أحد من كتاب الأناجيل الأربعة غالباً (٦) كما أن برنابا هو الذى قدم بولس .. وتوسط ليقبله التلاميذ .. فإن كل ذلك يدفعنا إلى القول بأن اتفاق إنجيل برنابا فى بعض النقاط مع الأناجيل الأخرى يؤكد صحة هذا الإنجيل ويجعله فى مركز أقوى منها نظراً لمكانة كاتبه فى العصر المسيحى الأول (٧) .

إن اتفاق إنجيل برنابا وباقى الأناجيل حول الحقائق الجوهرية والقضايا الهامة يجعل هذا الإنجيل فى مكانه الصحيح خصوصا إذا عرفنا أن نقاط الخلاف بعد ذلك لا تعنى شيئاً إلا فى أوهام واضعيها وأتباعهم ..

إننا لا نقصد بالبحث أن ندافع عن كتاب أو ندحض غيره وإنما نريد أن نقر الحقائق ونساعد على أن يبصر المبصرون حتى يتعرف كل ذى عقل على الصحيح من الأفكار .

ومما يجدر بنا التنويه عنه أننا كمسلمين نؤمن بما أنزله الله على الأنبياء جميعاً من لدن آدم فنحن نؤمن بصحف إبراهيم وموسى .. ونؤمن بالزبور ونؤمن بالتوراة والإنجيل .. وغيرها .. نؤمن أن الله أنزل هذه الكتب على رسله وأنبيائه ، ولكننا فى الوقت نفسه نؤمن بأنها جميعا فى القرآن الكريم وليست فى سواه ولا يضيرنا فى هذا مزاعم الزاعمين ذلك أن أتباع هذه الكتب تصرفوا فيها وأخفوا منها أجزاء إلى غير ذلك .. ولذا فإن القارىء لبحثنا عليه أن يتدبر الأمر فلسنا ندعو لديانة تقوم على إنجيل برنابا أو غيره بل إننا نوازن بين الأفكار ليتبين لنا ولغيرنا . إن الحق واحد لا يتعدد ألا وهو الإسلام لله تعالى على منهج خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم .

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل

المؤلف

---

(٦) تحوم الشكوك كثيرا ـ من باحثين مسيحيين وغيرهم ـ حول حقيقة مؤلفى الاناجيل .

(٧) انظر حقيقة برنابا ص ٢٨ من هذا الكتاب .

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الأول

شخصية برنابا وبولس

تمهيد :

دراسة الشخصية هامة لفهم الدعوة .. فالرسالات لا تنفك عن شخصيات الدعاة الذين يقدمونها للناس .. وخصوصا فى عهدها الأول ..

ولهذا فإن الله تعالى اختار الأطهار للرسالات كى يكونوا واسطة نقية يبلغون للناس وحيه ، لا يكذبون ، ولا يبدلون ، ولا يغيرون .. وهم دائماً محل ثقة من الناس قبل الرسالة وبعدها ..

ولهذا قال الله تعالى عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم :

« ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من احد عنه حاجزين » (١) ..

فكيف يكذب الرسول .. أى رسول من رسل الله تعالى .. والحال هذه ؟ أما إنهم محل ثقة من الناس قبل الرسالة وبعدها .. فهذا ما نلمسه فى حياة رسل الله صلى الله عليهم وسلم .. ولكن مخالفة بعض الناس لهم — كثر

---

(١) سورة الحاقة ٤٤ — ٤٧

هؤلاء المخالفون أم قلوا — ليس إلا اعتراضا على دعوة لم يعهدوها .. وليس إلا حرصاً على الموروث من عقائدهم ..

قال تعالى :

« فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون » ..

فإنهم لا يوجهون اعتراضهم إلى شخص النبى صلى الله عليه وسلم .. ولكن الجحود — عندهم — يرتبط بجمود قلوبهم وإنكارهم لآيات الله .. فليست القضية صراعا أو عداوة شخصية بين النبى وأعدائه ..

وانطلاقا من أهمية دراسة الشخصية نجد أن العقاد رحمه الله كان حريصا على دراسة الشخصيات الإسلامية وغيرها .. لأن حياة الشخص أقرب إلى تصوير المبادىء وتجسيدها فى واقع حى ملموس ..

وقد أصدر العبقريات وفيها تحليل واف لجوانب الشخصيات التى تناولها .. كما أصدر كتاب « حياة المسيح » وفيه تصوير لنقاء الرسالة المسيحية .. وعظمة داعيتها المسيح عيسى بن مريم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام .

بل لقد وجدنا كاتبا مسيحيا يتناول شخصية النبى محمد صلى الله عليه وسلم وأقصد به الأستاذ نظمى لوقا فى كتابه .. محمد الرسالة والرسول .. وهذا يبين لنا أهمية دراسة الشخصيات التى تحمل المبادىء فى الأيام الحاسمة .. ولعل من أهم الشخصيات التى تواجه قارىء الإنجيل ودارسه شخصية بولس أو « شاؤل » قبل تحمل عبء التبليغ وادعاء الوحى ..

ولقد ترددت كثيراً وأنا أفكر فى تناول شخصية بولس بالدراسة والتحليل وكان من أسباب ترددى :

١ — أنه ما من دراسة للمسيحية — تأييداً أو معارضة — إلا وتناولت هذه الشخصية .. ولعل فى هذه الدراسات الغناء لمن أراد أن يتعرف على شخصية بولس .

٢ ـ لعلم مقارنة الأديان باع واسع فى تحليل مبادىء بولس وتكييفها حسب ما يراه الدارس ويقتنع به علميا ..

٣ ـ إن المعلومات عن بولس فى الأناجيل الأربعة تكاد تكون معدومة ولا تغنى شيئاً .. لأن الأناجيل تتناول فترة حياة المسيح عليه السلام .. وهذه الفترة كان بولس فيها عدوا لدوداً للمسيحية فجاءت الإشارات لهذه العداوة كما أن بولس لم يشهد شيئاً من حياة المسيح ولم يقابله . ولكنى ـ رغم ذلك ـ أقدمت على دراسة هذه الشخصية النادرة من خلال الرسائل التى يعد هو محورها الأول وبطلها بلا منازع .. محاولا ـ جهد الطاقة ـ أن تكون الدراسة موضوعية لا تدفعها عواصف العواطف إلى متاهات الفكر ..

إنه من السهل أن يمسك المرء بقلمه ويكيل المديح والثناء بلا حساب ولا حدود ..

ومن السهل كذلك .. أن يكيل الهجاء والتجريح بلا حساب ولا حدود ولكن ماذا فى النهاية ؟ إن هذه الكلمات غير المحسوبة ـ مهما كثرت وتلاطمت ـ ستذهب أدراج الرياح وستكون دائما نموذجا لسوء التقدير والتصوير ..

إنه لا يثبت فى معيار العقل والفكر إلا ما هو معقول ومقبول .. ولا يؤثر فى ضمير العقلاء إلا موضوعية البحث وحسن التقدير .. إننا لن نعمد إلى تجريح أو نقد فليس هذا هدفنا من هذه الدراسة إلا ما استوجبه النظر العقلى والتفكير المنطقى ..

ولهذا فإن القارىء قد يجد فى التعليق مالا يوافقنا عليه أو مالا يسره أن يقرأه .. فعليه أن يقرأ وأن يتفهم وجهة نظرنا ، وصدورنا مفتوحة بعد كل ذلك للنقد والتوجيه شرط أن يكون ذلك على أسس علمية ومنطقية ..

إن شخصية (بولس) من الأهمية بمكان فى التفكير المسيحى ومن منطلق هذه الأهمية كانت دراستنا . إذ إنها شخصية عالمية .. يعيش الملايين على ما غرسته من أفكار .. ومن هنا كان اهتمامنا بهذه الدراسة ..

ومنهجنا فى هذه الدراسة يعتمد على النصوص فى المقام الأول . إذ إننى من قراءتى للرسائل وجدت أنها لا تخلو من الإفصاح عن جوانب مهمة من شخصية بولس وتطلعاته الفكرية والدينية ، ولهذا فإن رائدنا النصوص والتعليق عليها حسبما يقتضيه السياق .. وقد نستعين فى التعليق بآراء بعض المفكرين إن كانت واضحة الدلالة ..

إنها دراسة متواضعة أقدمها لطلاب الحقيقة الذين يحبون أن تتفتح عيونهم على نورها ، ويرون أن نفوسهم لا تنتعش إلا بها .. أما الذين يكرهون الحقيقة ويعادون نورها .. فهؤلاء لا نهتم بهم .

كما تعرضت لشخصية برنابا (أو ابن الوعظ) وذلك لإلقاء الضوء على حقيقة هذه الشخصية وما تعرضت له من تعتيم وتجاهل . بل لقد حاولت بعض الأقلام أن تعرض لفكر برنابا على أنه تابع لما يدعو إليه بولس من أفكار فأين الحقيقة ؟ هذا ما حاولت استجلاءه من النصوص .

والباب مفتوح لتبادل الرأى والإقناع ..

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل

* * *

الفصل الأول

شاؤل [بولس]
فى سفر ((أعمال الرسل))

أول إشارة لاسم (شاؤل) فى سفر أعمال الرسل جاءت فى الإصحاح السابع .. ذلك أنه لما تكاثر التلاميذ حدث تذمر من اليونانيين على العبرانيين .. وانتخب سبعة رجال منهم « استفانوس » الذى كان مملوءاً بالروح القدس كما قالت عنه الرسالة ..

((رجلا مملوءاً من الايمان والروح القدس)) [اصحاح ٦] .

وتكلم استفانوس أمام رؤساء الكهنة طويلا .. إلى أن قال « يا قساة الرقاب وغير المختونين بالقلوب والآذان أنتم دائما تقاومون الروح القدس ، كما كان آباؤكم كذلك أنتم . أى الأنبياء لم يضطهده آباؤكم ، وقد قتلوا الذين سبقوا فأنبئوا بمجىء البار الذى أنتم الآن صرتم مسلميه وقاتليه . الذين أخذتم الناموس بترتيب ملائكة ولم تحفظوه ..

فلما سمعوا هذا حنقوا بقلوبهم ، وصروا بأسنانهم عليه .. وينتهى المشهد بأن أخرجوه خارج المدينة ورجموه .. « والشهود خلعوا ثيابهم عند رجلى شاب يقال له شاؤل .. وكان شاؤل راضيا بقتله » والنص المذكور يشير إلى ما يأتى :

● الجموع الثائرة التى لا تعرف التفاهم ، ولا تدرك من الحقيقة إلا ما تعتقده وتفعل أى شىء من أجل أن تحافظ على عقيدتها مهما كانت العقيدة هزيلة .. لأن العقيدة عندها تكون وسيلة للمحافظة على كيانها .. وهذه نقطة هامة أدركها شاؤل .

● إن هذه الجماهير توسمت فى شاؤل شيئاً ما جعلها تخلع ثيابها عند رجليه .. فلعلها أدركت حرصه على إيذاء المؤمنين بالمسيح عليه السلام ..

● إن شاؤل كان راضيا بقتل استفانوس .. وهذا ما جعل الشهود يأتمنونه على ثيابهم وحاجاتهم .

● لعل مصرع استفانوس .. ومنظر الجماهير الغفيرة التى تهجم عليه وترجمه كان له أثر كبير فى نفس شاؤل لا من حيث رأفته بالقتيل واشفاقه من الصورة التى قتل بها .. بل من حيث أهمية الجماهير وضرورة الاستعانة بها واستمالتها .

وفى أول الإصحاح التاسع من أعمال الرسل نجد الحديث عن التطور فى حياة شاؤل « أما شاؤل فكان لم يزل ينفث تهدداً وقتلا على تلاميذ الرب . فتقدم إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل إلى دمشق إلى الجماعات حتى إذا وجد أناساً من الطريق ــ رجالا أو نساء ــ يسوقهم موثقين إلى أورشليم . وفى ذهابه حدث أنه اقترب إلى دمشق فبغتة أبرق حوله نور من السماء فسقط على الأرض ، وسمع صوتا قائلا له : شاؤل شاؤل لماذا تضطهدنى ؟ فقال من أنت يا سيد .. فقال الرب أنا يسوع الذى أنت تضطهده . صعب عليك أن ترفس مناخس .. فقال وهو مرتعد ومتحير يا رب ماذا تريد أن أفعل ؟ فقال له الرب قم وادخل المدينة فيقال ماذا ينبغى أن تفعل ؟ وأما الرجال المسافرون معه فوقفوا صامتين يسمعون الصوت ولا ينظرون أحداً . فنهض شاؤل عن الأرض وكان مفتوح العينين لا يبصر أحداً .. فاقتادوه بيده وأدخلوه إلى دمشق وكان ثلاثة أيام لا يبصر فلم يأكل ولم يشرب ..

هذا هو المشهد الأول من مشاهد الانقلاب فى حياة شاؤل ونحن نقدم ملاحظاتنا على النص وتتمثل فى :

● إن شاؤل كان يتمتع بدهاء وحيلة .. فهو قد ذهب إلى رئيس الكهنة يطلب منه أن يزوده بالرسائل كى يسوق إليه كل من تقع عليه يده من المسيحيين .. وفى هذا نجد شاؤل خادما مخلصا لدينه حانقا على الآخرين ..

لازال قلبه ينفث حقداً واضطهاداً .. بل إن الاضطهاد قد أخذ شكلا جماعيا فى نفسه فهو لا يكتفى بقتل المسيحيين الذين تصل إليهم يده .. بل استعان بسلطان رئيس الكهنة ليمد حقده إلى خارج حدود أورشليم .

● لازال شاؤل ملوث اليدين ملوث القلب من دماء الذين قتلهم أو أعان على قتلهم ..

● تحدث مفاجأة (بغتة) قرب دمشق إذ أبرق حوله نور من السماء وهذه المفاجأة تحمل الكثير من التساؤلات :

إذ كيف ينتقل شخص من العداوة المحضة إلى الاصطفاء ومراتب القديسين ؟ لو أنه انتقل من مرحلة الكفر الى الإيمان لأصبح الأمر هينا .. ولكنه يتحول بهذه البغتة إلى رسول فى عرف المسيحية بل ولا يدانيه أحد من تلاميذ المسيح فى هذه المرتبة إذ سيتفوق عليهم كما سنرى .

ألا يمكن أن تكون هذه حيلة وجدها شاؤل أجدى مما حمله من رسائل رئيس الكهنة ؟

لقد حدثت البغتة قرب دمشق .. أى بعد أن قطع من الشوط أكثره ولابد أن شاؤل [الذى رضى بقتل استفانوس وغيره] فكر كثيراً فى كيفية الوصول إلى هدفه ؟ لعله فكر فى أن تدمير الأشخاص وقتلهم قد يكسبهم روح البطولة ويحولهم إلى أساطير .. فكيف نقضى على المبدأ ؟ كيف يمكن القضاء على الأفكار حتى يتحول الرجال إلى أشباح ؟ .

ربما توصل شاؤل إلى هذه الحيلة وعرف كيف يدخل بها على التلاميذ .. ولا نتعجل الأمور ..

● فى هذا الموقف يتكلم صوت يسوع .. ربما موبخا .. أو محذراً ..

وقال له « صعب عليك أن ترفس مناخس » ولهذه الجملة دلالة كبرى .. فإنها تعبر عما فى نفس شاؤل .. إنه رأى نفسه أضعف من مواجهة أتباع

المسيح .. فربما كلم نفسه بهذه العبارة معلنا عجزه عن هذه المواجهة مما دفعه إلى تغيير مسلكه .. فهذه الجملة مع التحقيق هى من قول بولس لنفسه بصوت عال ثم أوهم ناقلها أنه مخاطب بها من النور الذى رآه .

● يؤيد هذا الاستنتاج أن الرجال المسافرين وقفوا صامتين يسمعون الصوت ولا يبصرون أحداً .. فلماذا لا يكون هو صوت شاؤل بعد أن أوهم المسافرين معه بأنه تعرض لمفاجأة حيث وقع على الأرض وخرج الصوت بهذه العبارات منه فتوهموا أن الصوت قادم من مصدر آخر (١) . وكثيراً ما يحدث مثل ذلك إذ يظن الفرد أن الصوت قادم من بعيد فى حين أن المتحدث يكون بجواره .. وهذا أمر واضح فى الحياة العادية فما بالك إذا كان فى الأمر خدعة محبوكة .. ومفاجأة جعلت المسافرين يقفون مبهوتين لا يدرون ماذا يفعلون .

● ولكن لم كانت مثل هذه الحياة ؟ ولم قام شاؤل مفتوح العينين وهو لا يبصر ؟ كما زعم .. إنه أراد بذلك أن يصل إلى أمرين :

الأول :

أن يقنع من حوله – ليشيع الأمر عنه – أنه تعرض لأمر خارج عن العادة أمر معجز .. وفى هذا ما يضمن له أن يحقق أهدافه فى سهولة ويسر .. إذ إنه لا يتحدث من نفسه بل يتحدث بعد أن امتلأ بالروح القدس .. والامتلاء بالروح القدس سهل ميسور خصوصا بعد هذه المفاجأة وأمثالها ..

الثانى:

أما الأمر الثانى الذى أراده شاؤل لنفسه أن يلحق بالتلاميذ الذين رأوا المسيح وعايشوه وأخذوا عنه ، وهو لا يدانيهم فى هذا الفضل .. فلم لا يجعل لنفسه هذا الشرف الذى فاته ؟

● وتتم الحبكة للقصة بالعمى .. إذ يقوده الرجال ويدخلونه إلى دمشق فلا يأكل ولا يشرب ثلاثة أيام ..

---

(١) ولعل الأمر كله لا يعدو أسطورة تناقلتها الرواة وصدقها الناس دون أن يكون لها ظل فى الحقيقة كما سيظهر فى الفقرة التالية ..

والآن علينا أن ننظر ماذا حدث بعد ذلك لشاؤل :

ويبين الإصحاح نفسه ما حدث فى دمشق إذ لابد أن يكون فى انتظار شاؤل معجزة أخرى يسترد بها بصره .. ويتم له بها التربع على عرش التفكير المسيحى بأجمعه .. وتتمثل المعجزة فى رؤيا لتلميذ اسمه « حنانيا » كان بدمشق .. إذ رأى حنانيا فى الرؤيا أن الرب يناديه ويأمره أن يذهب إلى شاؤل « واطلب فى بيت يهوذا رجلا طرسوسيا اسمه شاؤل . لأنه هو ذا يصلى » .. وقد رأى شاؤل فى رؤيا رجلا اسمه حنانيا داخلا وواضعا يده عليه لكى يبصر » .. وعندما تخوف حنانيا من هذا المدعو شاؤل قال له الرب : « اذهب لأن هذا لى إناء مختار ليحمل اسمى أمام أمم وملوك بنى إسرائيل ، لأنى سأريه كم ينبغى أن يتألم من أجل اسمى » .

وهنا تظهر تتمة التدبير ..

● فهناك سلاح الرؤيا الذى يمكن أن يفعل الكثير .. فالتلميذ يرى رؤيا كى يذهب إلى شاؤل .. وشاؤل يرى رؤيا ينتظر بها التلميذ حنانيا .

● وفى هذه الرؤيا تتغير معالم شخصية شاؤل شيئا فشيئا :

١ ــ فهو قائم يصلى (بعد أن كان عدوا للأتباع) .

٢ ــ إن شاؤل جالس فى انتظار حنانيا وكأنه ينتظر التعميد أو لحظة البدء فى مرحلته التى يحمل أعباءها .

٣ ــ وفى النهاية يتحول شاؤل إلى الوعاء (الإناء المختار) ليحمل اسمى أمام أمم .

٤ ــ تعطى العبارة صفة القداسة لشاؤل إذ إنه (ينبغى أن يتألم من أجل اسمى) وعلى هذا فإن شاؤل يسير فى نفس طريق التلاميذ .. مما يجعل كلامه أقرب الى المقبولية فى الأوساط المسيحية ..

ويستمر الإصحاح فى سرد القصة بأن حنانيا وضع يده على شاؤل قائلا : « أيها الأخ شاؤل قد أرسلنى الرب يسوع الذى ظهر لك فى الطريق

الذى جئت فيه لكى تبصر وتمتلىء من الروح القـدس . فللوقت وقع من عينيه شىء كأنه قشور فأبصر فى الحال وقام واعتمد . وتناول طعاما فتقوى . وكان شاؤل مع التلاميذ الذين فى دمشق أياما . وللوقت جعل يكرز فى المجامع بالمسيح .. فبهت جميع الذين كانوا يسمعون وقالوا أليس هـذا هو الذى أهلك فى أورشليم الذين يدعون بهذا الاسم ، وأما شاؤل فكان يزداد قوة ، ويحير اليهود الساكنين فى دمشق محققا أن هذا هو المسيح » .

وتكتمل خيوط القصة فى هذا الجزء من الرواية .. فيذهب حنانيـا .. ويكتمل تعميد شاؤل على يد أحـد التلاميـذ إلا أننـا نلاحظ فى العبـارة ما يأتى :

● تأكيد حنانيا على ما رآه شاؤل فى الطريق إلى دمشق رغم أنه ليس هناك ما يدل على معرفته بما حدث إذ إن الرؤيا التى رآها حنانيا اقتصرت على الأمر بالذهاب لشاؤل .. وأظن لو أن حنانيا جاءه شىء بخصوص ما حدث لكانت الرؤيا أشارت إلى ذلك خصوصا وأن الرؤيا ذكرت ما هو أقل شأنا من ذلك ..

● يسقط من عينى شاؤل شىء كأنه قشور .. ولو كان الأمر انبهاراً من النور فى طريق دمشق لما كان هناك ما يدعو لوجود قشور . .ثم ما قيمة ذكر هذه القشور إلا لإيهام العامة بأن شيئا ما قد حدث ويجدون آثاره المادية .. لقد سمعنا عما أصاب يعقوب عليه السلام إذ فقد بصره بعد غياب ابنه يوسف عليه السلام . .ثم ارتد له بصره بعد عودته .. بل إن المسيح عليه السلام قد شفى على يديه كثيرون من العمى .. وما وجدنا أثراً لشىء يتساقط فما بال شاؤل يطرأ عليه طارىء يفقده بصره .. وعند عودة بصره تتساقط قشور ؟ ألا يمكن أن تكون هذه حيلة للإقناع أكثر منها حقيقة واقعة ؟ .

● ينطلق لسان شاؤل بالقول .. فى المسيح .. ولم يمر وقت يسمح بأن يكوّن فكرة عن المسيح غير تلك التى كان يعتنقها .. إلا أن الامتلاء بالروح القدس عندهم يجعل كل شىء ممكنا ..